

استراتيجيات القراءة الثقافية المضادة في النقد الأدبي
Strategies reading Cultural activities The Counter
In literary criticism

طالب الدكتوراه : محمد حكيمي
إشراف أ. د. محمد قرّاش

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة زيان عاشور-الجلفة(الجزائر)
مخبر المصطلح والمخطوط والأدب الجزائري المكتوب في الصحافة
hakimimohamed04@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2018/07/17

تاريخ القبول: 2018/09/22

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار التحولات الكبرى الطارئة في حقل الدراسات النقدية في فترة ما بعد الحداثة، حيث تم التحول من النقد البنوي المنهجي إلى النقد الثقافي الإستراتيجي، مما رافق ذلك تجاوز خطاب الأدب الجمالي المحض إلى خطاب الثقافة وتمثّلها في الأدب، لينفتح الدرس الأكاديمي العالمي المعاصر على نوع جديد من المقاربات السردية التي تعرف بالسرديات الثقافية، والتي تقارب النصوص الروائية المضادة لمختلف أشكال خطابات السلطة والهيمنة الكولونيالية، وذلك بتفكيك هذه الخطابات وفضح تناقضاتها وتسليطها وعنصرتها وفق تجاذبات الذات والآخر، كما تهدف هذه السرديات إلى قراءة المتن الروائي ثقافياً، والذي غالباً ما يهدف إلى إعادة رسم حدود الذات، وإعادة تحديد موقعها تاريخياً وحضارياً في السياق الثقافية العالمية، لذلك توجه النقاد إلى إستراتيجية تساعد على الكشف عن هذه الحركات والتحويلات السردية الثقافية المضادة، والتي أخذت طابع التفكيك والمقاومة الثقافية في وجه تمركز السلطة، والهيمنة الكولونيالية.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي ؛ السرديات الثقافية ؛ الخطاب المضاد ؛ التفكيك.

Abstract:

This study aims to show the major transformations in the field of monetary studies in the postmodern period. The transition from systematic structural criticism to strategic cultural criticism has been accompanied by a shift from purely aesthetic literature to the discourse of culture and its representations in literature. A new type of narrative approach known as

cultural narratives, Which are close to the narrative texts against the various forms of power and colonial hegemony. These narratives also aim to read the narrative narrative culturally, which is often aimed at redrawing the boundaries of self and redefining its historical and cultural position Context The global culture, so the academic lesson developed a strategy that helps to reveal these movements and cultural narrative transitions that took the opposite of the dismantling and cultural resistance in the face of the concentration of power and colonial hegemony.

Keywords :cultural narratives; discourse.; hegemony; power; colonialism .

مقدمة:

تُعلن الثقافة عن وجودها وحضورها في مختلف أشكال الحياة الحضارية للشعوب، فهي تتمثل في مجموع الأنساق الاجتماعية والإيديولوجية والإبداعية التي تمارس فعاليتها وتمثلها في سجل التواصل الاجتماعي والتاريخي، وكان الفن والأدب والنقد من بين السياقات الحضارية التي تطرح موضوع الثقافة، ومدى هيمنتها وحضورها في الخطابات التي تكرسها دائما، حتى تصبح بهذا المفهوم بمثابة خلفية معرفية وجودية تغذي منطق الخطابات وتوجه سلوك الذوات واختياراتها وقناعاتها، وعليه قام الدارسون برصد مختلف الحقول المعرفية التي تظهر فيها الثقافة كموجّه، وكان الخطاب الأدبي الإبداعي من بينها، هذا ما دفع النقاد إلى الاهتمام بدراسة القضايا الثقافية في الخطاب الأدبي.

بداية لابد لنا من التطرق إلى مفهوم الثقافة خصوصا وأنها أداة مقاومة، حيث يعرفها سعيد علوش في كتابه: (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) بأنها: "تتضمن الميثي والأيديولوجي كظاهرة تواصل، بحيث تكون هي في ذاتها درجة من الرقي الاستيمولوجي، كما أنها تعتبر علم أنماط الشفرات التي تُحدد عينة سوسيوثقافية معينة"¹. وهذا ما نطلق عليه الثقافة، ذلك الكل المتكامل الذي يُحدّد ويسمّ جماعة معينة عن غيرها، وكل ما هو خارج عن هذه الدائرة الاجتماعية الثقافة من هذا المنطلق يمكننا أن نشير إلى مفهوم الثقافة الأساسية، وهو مفهوم يشير إلى سيطرة نمط من الفكر والأنظمة اللغوية والمعرفية لطبقة أو جماعة اجتماعية معينة على الأنماط السائدة في المجتمع في مرحلة تاريخية معينة، وتفرض هذه الأنماط نفسها على معظم الجماعات المبدعة والمثقفة التي تعيش في ظروف اقتصادية وتاريخية واجتماعية متشابهة"².

من مفهوم الثقافة الأساسية أو الثقافة الأصلية لشعب من الشعوب ننتقل إلى مفهوم الثقافة المضادة، وهي: "مصطلح يطلق حديثاً، على أية ثقافة تحل محل الثقافة السائدة، بمعناها المعروف. وتلازم في معناها نزوعاً طلائعياً، عند اليسار الثقافي عامة، وهي بمثابة رد فعل طبيعي للمهمشين طبقياً³. وثقافياً من أجل إعادة التوازن للثقافة المحلية التي يمكننا أن نصفها بالثقافة الأساسية أو الأصلية في مقابل ثقافة دخيلة وهجينة. يحاول عموماً ممثلو الثقافة المضادة لإرساء معالم وأنساق وعناصر ثقافية أصيلة في مقابل دحض ورفض أنساق ثقافية دخيلة وهذا الفعل، هو بمثابة مقاومة ثقافية منظمة يقوم بها مثقفو دول العالم الثالث، كما أشار إليها إدوارد سعيد.

1- من الدراسات الثقافية إلى النقد الثقافي:

ولما كان هذا الوضع الثقافي قائماً، توجه الدارسين إلى استحداث ما يسمى بالدراسات الثقافية والتي شملت موضوعات متعددة خصوصاً كتلك التي تتعلق بقضايا الذات والهوية والآخر والمرأة، والتي تعتمد على نظريات متعددة من أجل فهم الجوانب المختلفة التي تنطوي عليها النصوص الأدبية والثقافية. تتميز عموماً الدراسات الثقافية في كونها تتخطى الحدود الفاصلة بين التخصصات كالنقد الأدبي والتاريخ، بل تعتمد لصهر كل ذلك المنجز لبلوغ فهم مميز بالظواهر التي تُسائلها، كما تلتزم ببعدها السياسي، فالناقد الثقافي يعرف في صراع مع بنيات القوة الاجتماعية ساعياً دوماً إلى تفكيك العلاقة بين الثقافة المهيمنة والثقافة المهيمن عليها⁴، وذلك من أجل إعادة الاستقرار والتوازن لموازن القوى بين الطرفين .

تتمثل الدراسات الثقافية في علاقتها بالأدب في مفهوم النقد الثقافي، والذي يفتح هو الآخر بدوره على عدة جهات بحث و اتجاهات نقدية مفتوحة ومتعددة بتعدد قضاياها وظواهره المدروسة، فنجدته يتجه إلى النقد الإعلامي والإيديولوجي والنقد الإيكولوجي (البيئي)، والدراسات النسوية، والجنوسة وإلى الدراسات الاستشراقية والدراسات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية والدراسات الدينية وعلم مقارنة الأديان وغيرها من التخصصات التي تميز النقد الثقافي على أنه تخصص عابر للتخصصات.

وبما أن هذه القضايا الثقافية لها حضور في الأدب باعتباره المدونة الأساسية للثقافة ولدراسات الثقافة وحتى الاجتماعية، لأنه يمثل شعورياً أو لا شعورياً هوية الأفراد وانتمائهم، كما يمثل الذات وعلاقتها بالآخر، ويمثل التاريخ، والسلطة والدين في نصوصه في أشكال ووضعيات كثيرة توثق وتسجل مختلف التطورات والتحويلات والتقلبات التي تحدث لهذه

القضايا الاجتماعية والثقافية، كما يسجل الأدب انحرافات هذه القضايا، وتوجهاتها المتطرفة، أو الصائبة، لذلك ظهر في النقد الأدبي فرع يهتم بدراسة المظاهر الثقافية والاجتماعية في النصوص الأدبية، هو النقد الثقافي، باعتماد عدة استراتيجيات ومقاربات علمية منها المقاربة النقدية الثقافية. والتي تمخض عنها ظهور السرديات الثقافية في الدراسات الأدبية للنصوص الروائية.

2- من السرديات البنوية إلى السرديات الثقافية:

مع بداية القرن العشرين بدأت نظريات السرد المعاصرة في التشكل مع مشروع الشكلايين الروس. ومع ترجمة أعمالهم للفرنسية ستتطور النظرية السردية وتتلور في نماذج نسقية مع تودوروف، جيرار جينيت، ورولان بارث، وغيرهم. ومنذ الستينات، وفي إطار مشروع البويطيقا العام، تحدد موضوع السرديات في معرفة القوانين التي تنظم كل الأشكال المختلفة للسرد، بغض النظر عن تعدد أجناسها وتنوع نصوصها مستلهمة- في ذلك- النموذج اللساني البنيوي.⁵

بعد ما حققته الدراسات البنيوية في مجال السرد بمحايتها للنصوص وسبر أغوارها واكتشافها لكل بنياتها الممكنة، في ظل عزل هذه البنى عن العلاقات الخارجية والسياق الذي أنتج فيه النص، أصبح السؤال ملحا في وجه هذه الدراسات في قضية البعد التداولي لهذه النصوص، فهي في نهاية المطاف رسالة يحكمها سياق وواقع ومتلقي معين، من هذا المنطلق تم الالتفات إلى تلك الأبعاد الإنسانية والثقافية والفكرية التي يحملها النص، وليست البنية هنا مهمة لأنها تمثل شكل القول في الرسالة، لكن الأهم من ذلك هو مضمون القول ومحتواه، ورسالته التي يحتويها والأهم من ذلك دوافع هذه الرسالة وتأثيراتها على المتلقي وكذا سياق تلقيها، نكون هنا أمام مفهوم جديد في حقل الدراسات اللسانية والنقدية والثقافية، وهو الخطاب، الذي يجمع النص بمتلقيه ويربط البنية النصية بسياقها الثقافي، والأثر الذي يحدثه الخطاب من هيمنة وتسلط أو دفاع ومقاومة، في السجل الثقافي والحضاري للبشرية.

وعلى هذا الأساس " ينطلق مشروع السرديات الثقافية من المقولات الإبستمولوجية والإيديولوجية الظاهرة والمضمرة في المتون السردية، عبر السعي إلى إنتاج معرفة جديدة بالموضوعات السردية الكامنة فيها، انطلاقا من اعتبار السرد خطاب العالم للذات والذات للعالم، في علاقة تفاعلية تأثيرية تأثرية، فتشتغل النظرية السردية على تأويل الأحداث وتأويل ثقافيا تداوليا إيديولوجيا."⁶

ويتم مقارنة النصوص والخطابات في السرديات الثقافية بمفهوم القراءة الثقافية التأويلية والتفكيكية، التي تعنى بإعادة تعيين وتحديد موقع الذات والآخر في الخطاب، وتحديد المواضيع الثقافية المطروحة في الفضاء الثقافي الذي ينسجه النص وكيفية تمثيل هذه المواضيع بالموازاة مع الواقع والسياق الاجتماعي، وتحديد الأبعاد الإيديولوجية، ومواطن القوة والهيمنة التي يطرحها الخطاب ونقيضها من مقاومة وتفكيك لهذه الهيمنة.

إذا السرديات الثقافية هي نتيجة اقتران وتواشج الدراسات المعرفية بين السرد والنقد الثقافي عموماً، وذلك بالانتقال من الدراسات الجمالية للبنية السردية إلى دراسة مقومات الخطاب الثقافي لهذه البنية، أي فتح الباب أمام جملة من المباحث التي يتشابك فيها السرد مع تمثيلات السلطة والقوة والهيمنة والهوية والآخر والعنف والجنوسة وغيرها. الأمر الذي جعلها تظهر ضمن "سياق إعادة قراءة وتفكيك الأسس المركزية للبنوية، ستظهر نماذج جديدة تختلف عن الشعرية، مجاوزة لأفقها البنيوي، إنها تقف عند حدود الأدبية وتكتفي بوصف البنيات اللفظية. وهو الأمر الذي استلزم مراجعة وإعادة النظر في الخلفيات المعرفية المؤسسة للنظرية السردية، في مقابل اتساع طبيعة السرد التعبيرية والثقافية والرمزية."⁷

ابتداء من الثمانينات سينخرط رائد الشعرية تودوروف، بعد تعرفه على الناقد الثقافي ادوارد سعيد في الأفق الثقافي التاريخي الجديد، حيث سينتقل إلى الاهتمام بقضايا التمثيل والغيرية الثقافية وصور الآخر في كتابه، فتح أمريكا.⁸

فقد تحول تودوروف في دراساته واهتماماته من الشعرية البنيوية إلى الشعرية الثقافية، وذلك بالانفتاح على القضايا الثقافية من مفهوم الغيرية، والمخاتلات التي تتضمنها الخطابات وممارستها للهيمنة والسيطرة على الذات، يناقش تودوروف في هذا الصدد مفهوم الغيرية؛ أي العلاقة التي تنشأ بين الذات والآخر، ويناقش كذلك مفهوم اكتشاف أمريكا، فيتناول هذا المفهوم اللغوي لمصطلح الاكتشاف فيجد أنه يتضمن هيمنة وتسلط ضد الآخر، لأن الاكتشاف يقتضي إعطاء ماهية للشيء في الوجود وكأنه لم يكن موجود إلى حين تم اكتشافه، أي أن حضارة الهنود الحمر وبلادهم أمريكا اللاتينية لم تكن شيئاً إلى حين تم اكتشافها من طرف الرحلات الجغرافية الأوروبية، هذه المقولة تظهر مدى تمركز الذات الغربية حول نفسها وإقصاؤها لكل ما هو خارج عن حدودها الذاتية.

في الوقت الذي ظلت فيه السرديات البنيوية ضمن أفق لسانيات الجملة، مغلقاً على الحدود النحوية التي يفرضها نموذج افتراضي مجرد للسرد، لا تتجاوزها إلى ما هو أبعد من

الجملة، وهذا ما سيحتم انفتاح النظرية السردية على تحليل الخطاب وعلى الشعريات الثقافية والدراسات النسوية والنظرية ما بعد الكولونيالية.⁹

وإذا كانت البنيوية تمثل الحداثة، فإن الدراسات الثقافية تمثل وضع ما بعد الحداثة كتحويل تاريخي اجتماعي عالمي إنساني، انفتح فيه الفضاء الإنساني على ثقافات عالمية قائمة على فكرة الهجنة الثقافية، بعد أن كان المنطق قائماً على انفراد الثقافات بسردياتها الخاصة، بعد نشوء الصراع بين القوميات والإمبريالية، والوطنيات والإقليميات المحلية والعالمية، وقع السرد مجبراً تحت وطأة إشكالية ثقافية خطيرة هي الهجنة الثقافية.¹⁰

إن هذه الممارسة الاختزالية المحايدة لواقع السرديات، دفعت بالنظرية الثقافية إلى البحث عن آفاق جديدة تتجاوز المستوى اللساني البنيوي لمفهوم السرد، فما يميز السرد ليس هو كونه صيغة للتلفظ، ولكن بالأساس، طبيعته عبر اللسانية. إنه يمثل خطاب الذات إلى العالم، يقوم بوظيفة الوساطة الرمزية، بمعنى أنه كفعل رمزي يتوسط التجربة الزمانية الإنسانية، فالعالم الذي يقدمه أي عمل سردي هو دائماً عالم زمني... إن الزمن يصير زمناً إنسانياً ما دام ينتظم وفقاً لانتظام نمط السرد، وأن السرد بدوره، يكون ذا معنى ما دام يصور التجربة الزمانية.¹¹ وأكثر من ذلك فالعالم السردى يحتوي على أمكنة لديها دلالاتها الثقافية، وشخصيات تمارس الفعل في تعاقب الأحداث، مما يظهر تلك الأفعال والسلوكيات التي تفضح دوافعها ومطلقاتها وغاياتها التي تريد الوصول إليها، كل هذا لا يخرج عن السجل الثقافي الذي يعتبر النص الروائي هو أرضيته، ويتمثل في ارتسامه في أفق العالم السردى.

لا يلغي النموذج الثقافي الخاصة الاستطبيقية للسرد، لكنه لا يفصلها عن سياقاتها الثقافية والرمزية والإيديولوجية، بهذا المعنى نرى أن السرد باعتباره علامة دينامية يتم فصل وفق نظام ترميز مزدوج أدبي- ثقافي يعكس رهانات الإستراتيجية السردية، حيث تستحضر سياقات الهوية والمتخيل والتاريخ وتجاذبات المعرفة والقوة من أجل فرض تصور معين للعالم، أو التحيز لتمثيلات على حساب تهميش تمثيلات أخرى.¹² بما أن عالم السرد هو عالم رمزي، فإنه يشتغل وفق نظام من الرموز العلاماتية التي تحيل بالضرورة إلى رموز ثقافية، فلا يتوقف الأمر عند المجال الأدبي المحايد للغة النص، بل يتعداه إلى استحضار فضاء ثقافي واقعي، يعكس مدى تواسج النص مع الثقافة التي انبثق ضمنها.

إن وظيفة السرد في السرديات الثقافية هي وظيفة تمثيلية للذات والآخر، والهوية، وغيرها من الوحدات الثقافية التي تؤكد نفسها في السرد، عبر إبراز عناصر الاختلاف القائمة بين

الوحدات الثقافية. إذ يمثّل السرد استراتيجية خطابية أساسية بالنسبة للذات في التمثيل، وصياغة هويتها عن طريق تأكيد اختلافاتها مع صور الآخر، اختلاف يأخذ أنماطاً متعددة من العلاقات، شكل ديالكتيك السيد والعبد، وهندسة المركز والهامش في الحكاية الكولونيالية، وشكل السلطة والتابع في حكاية السلطة، وشكل الألفة (الأنا/المحلي) والغربة (الآخر/الأجنبي) في الحكاية الحضارية، فكل هذه التيارات السردية تعمل وفق نمط الاختلاف، بمبدأ التأكيد والنفي، والبناء والهدم، والهيمنة والمقاومة.¹³ في ظل الصراع الدائم بين الذات والآخر في النص السردى الذي يعتبر مسرحاً مناسباً للصراعات الإيديولوجية والعرقية والثقافية.

إن القراءة الثقافية هي التي تبني إستراتيجيتها في تشابك هذه المسارات وتجاوزاتها، بقدر ما تكتشف استطيعاً السرد وآلياته السردية، فإن تفكيك سياسات التمثيل فيما وراء الحكاية، بما يسمح لها بتفكيك بؤرة إنتاج المعنى وزحزحة مراكز إنتاج الصور والتمثيلات، باستكشاف مضموماتها الثقافية الإيديولوجية المبتوثة بشكل واعى أو لاواعى، حيث يتم استحضار سياقات الهوية واشتباكات التخيل والقوة في التأويل.¹⁴

وتجدد الإشارة هنا إلى قضية مهمة وعنصر أساس في السرد، وهو التخيل، فلا يخلو أي نص إبداعي من عنصر التخيل التي يرتحل بالمتن الروائي إلى الجمالية والإبداع، غير أن هذا الفعل الرمزي لا يخرج عن كونه تشفير للعالم الواقعي وللأنساق الثقافية التي يتضمنها النص الروائي، فيصبح التخيل آلية لتوليد الشفرات الثقافية والأنساق الجمالية. "للتخيل سلطة خفية ترتاد كل الفضاءات، ولا أحد يقدر أن يجسها أو يصادها، التخيل وراء كل الأفعال التي تبدوا بدون مرجعية أو نسق منطقي، وهو إلى جانب ذلك وسيلة إلى المعرفة، تعرفنا على مكاننا في العالم، سلطة التخيل هي أساساً سلطة مضادة لما هو قائم ومستقر، هي إعادة توليف للعلائق والأشياء وإمكانات الفعل، لتخفف وطأة الإحساس بأن ما نعيشه محتوم ونهائي."¹⁵ فيغدو التخيل بمثابة فعل لتحرير الأنساق الثقافية أكثر من كونه آلية جمالية رمزية في النص الروائي، ولإدوارد سعيد رأي في مفهوم المقاومة الثقافية التي أبدأها أدباء ومثقفوا بلدان العالم الثالث والتي كانت تهدف إبراز خصائص قومية ومزايا حضارية تعود لتاريخ طويل، فيذكر أنه "يسبق الاسترجاع البطيء للأرض الجغرافية الذي كثيراً ما تكون مدار نزاع مرير ووسم لخريطة الأرض الثقافية، بعد مرحلة المقاومة الأولية التي تعني حرقاً بالقتال ضد الاقتحام الخارجي تأتي مرحلة المقاومة الثانوية، أي العقائدية، إذ تبذل جهود لإعادة تكوين مجتمع محطم، وإنقاذ وترميم حس المجتمع ضد الضغوط الخارجية للنظام الاستعماري،

يوجد هذا الأساس في إعادة اكتشاف ما كان قد تم قمعه في ماضي الأصلايين (السكان الأصليون للوطن) قبل عمليات الإمبريالية¹⁶ وإعادة بعثه من جديد والتشبه والإيمان به.

3- عنصر المقاومة في السرود الثقافية:

المقاومة هي فعلٌ مضاد يُعنى بإعادة بناء للماضي الذي خرب من قبل الإمبريالية وأفعال استعمار من خلال مجابهة خطابية تقف في مقابل خطاب الآخر المكرس لأنماط وأنساق فكرية استهدفت الإنسان والأرض، فقامت أشكال خطابية اتسمت بصفات المقاومة لإثبات ذاتها وإعادة بناء هويتها من جديد، ويذكر إدوارد سعيد إستراتيجيتين من المقاومة: تكون الأولى مقاومة مسلحة أي مقابلة العنف الجسدي للاستعمار بعنف مقابل، وتقوم الثانية على الثقافة، فهي مقاومة إيديولوجية، إلا أن إدوارد سعيد يولي اهتمامه إلى الشق الأخير. والذي يعني الكتابة التي ترد على الكتابة الصادرة عن الثقافة الاستعمارية، هذا الجهد الحثيث هو ما يسميه إدوارد سعيد الرحلة إلى الداخل¹⁷. وتتجلى قوة تأثير المقاومة في قدرة المثقف على أن يرد □ بالكتابة على الكتابة الإمبريالية الاستعمارية، هذا الوعي النقدي هو الكفيل بتمكينهم من إصدار نصوص أدبية ثقافية مقاومة تمكن الثقافات المحلية من مجابهة الثقافة المهيمنة.

وعليه يمكننا أن نقرن بين المقاومة الثقافية وتشكيل الهوية، لأن الهوية لا تتشكل بعيداً عن مقاومة الخطاب السائد، ثم إن الهوية عنصر ومكون أساسي لثقافة، وفي هذا الشأن، "حاول" فرانتز فانون أن يفسر كيفية تشكل الهوية: إن الجهد الذي يبذله البشر من أجل اقتناص الذات والتدقيق في عناصر الذات، وكذا التوتر الدائم الذي تسببه لهم حريتهم هما العاملان اللذان من خلالهما يتمكنون من خلق الظروف المثالية للوجود في عالم إنساني (هذه الظروف المثالية للوجود تنتج عن أشكال من خطاب المقاومة¹⁸ فالهوية لا تتحقق بمعزل عن الآخر كما أنها لا يمكن أن ترسم خطوطها العامة إلا من خلال مقاومة كل أشكال الاحتواء والتسلط من طرف الآخر.

إن أبرز ما أدى إليه الاستعمار أنه دفع الأنساق الثقافية للمجتمعات البشرية التي تشكلت ضمن شروط تاريخية مختلفة إلى الصدام والمواجهة، وذلك أن تلك الأنساق لها حمولاتها الذهنية والدينية والاجتماعية الخاصة بها. وما أن يُعمد إلى استبدال نسق بآخر إلا ويقتضي الأمر تدمير نسق واستبداله بآخر، وهذا الآخر بالضرورة يحمل منظومة قيم مختلفة وغريبة¹⁹.

4- إستراتيجيات السرديات الثقافية المضادة:

تشارك عملية الكتابة الإبداعية السردية مع إستراتيجية النقد الثقافي في بعض المحاور التي من شأنها أن تسم الكتابة السردية بالسرديات الثقافية، وهذه المحاور هي الأطر الثقافية الكبرى التي يشتغل عليها الكاتب الروائي في نصه من حيث التمثيل والاستعراض، حيث يقوم بعملية مقابلة ضدية أو ما سماها إدوارد سعيد بالكتابة الطباقية وهي بالأساس عملية مصادرة ثقافية تعطل منطلقات وأفكار الآخر وهيمنتته اتجاه الذات، كما تعطل وتفكك مختلف القوالب الجاهزة والصور النمطية التي تقبع في مخيال الفرد والجماعة ضد فرد أو جماعة أخرى، حتى تتقابل هنا ثنائية الذات والآخر، وثنائية الرجل والمرأة، وكذا مكون الهوية، والعادات والتقاليد ومسألة الانتماء، والخطاب الأيديولوجي، والخطاب السياسي، وكذا الخطاب الديني في نوع من المجابهة والتفكيك والإقصاء والهدم وإعادة البناء والتشكل.

ما يقوم به الناقد الثقافي من عمل على مستوى تحليله للسرديات الثقافية هو أنه يقوم يتبع وتقصي مختلف الأنساق الثقافية المضمرمة في المتون السردية من حيث شكل تمثيلها وموقف الكاتب منها، كما يقوم بعملية تحسس لمواطن القوة والهيمنة والسلطة التي يمارسها الخطاب السردية، ضد ذات أخرى، وذلك بتحديد إحداثيات المحاور الثقافية وهي تتمثل في الذات والآخر، الرجل، المرأة، التاريخ، الدين، الإيديولوجيا، خطاب المعرفة، الهوية. حين يتم رصد هذه القضايا الثقافية في المتن السردية، حيث يتم بعدها تحديد كل تمثيل لهذه القضايا والعلائق القائمة بينها في المتن السردية بالموازاة مع السياق الثقافي الاجتماعي والتاريخي الذي يتموقع المتن السردية ضمنه.

5- القراءة الثقافية وتفكيك خطابات السلطة والهيمنة الكولونيالية:

نقوم الآن بعرض بعض النماذج الروائية التي قامت بفضح وتعطيل وتفكيك خطابات السلطة الممارسة من طرف الآخر ضد الذات، وكذا عرض بعض النماذج من المقاومة الثقافية السردية لمختلف أشكال الهيمنة الكولونيالية، غير أن هذا الفعل ينقسم إلى قسمين، القسم الأول وهو كل ما تعلق بالخطاب النقدي الثقافي ونموذج ذلك ما قام به إدوارد سعيد من خلال تحليل بعض النماذج الروائية الغربية ثقافيا، والقسم الثاني وهو ما تعلق بالجانب الإبداعي الروائي، أي كتاب يكتبون نصوص سردية تتضمن مقاومة ثقافية، ومثال ذلك ما قام به كمال داوود في روايته، موسم الهجرة إلى الشمال، ردا على رواية قلب الظلام لجوزيف كونوراد. فالكاتب هنا يجعل بطل روايته يسافر إلى الشمال إلى إنجلترا ويقوم بالعبث مع البطلة وهي في

الأساس امرأة انجليزية حيث يعتبر هذا الفعل بمثابة انتقام وثأر ونقد ضد النموذج الانجليزي الذي يدعي الكمال وذلك من أجل خلخلة هذه المركزية الأوروبية السليطة.

في هذا الصدد يقول مارتن غرين في كتابه: "الرواية الانجليزية في القرن العشرين، أن: "أكثر ما يميز الرواية الانجليزية في المرحلة الإمبراطورية، هو تصويرها لبطل مغامر تحذوه رغبة للسفر إلى الأراضي البعيدة، كما يظهر أنه صاحب مشاريع استعمارية، فكانت مهمة روبنسون كروزو بطل رواية دانييل ديفو استعمارية تحققت من خلال العالم الذي شيده في الجزيرة، التي ليست أكثر من معادل أدبي للمستعمرات البريطانية في إفريقيا وفي الهند والمحيط الهندي".²⁰

اختار إدوارد سعيد رواية قلب الظلام لجوزيف كونوراد من أجل تحليلها، حيث وجد فيها بأن الموقف الامبريالي قد تجسد بشكل جلي وواضح من خلال أحداث الرواية التي كرست أفعال السيطرة على إفريقيا. فمن خلال شخصياتها تحدث كونوراد عن سيادة الإنسان الأبيض على الإنسان الأسود. يقول سعيد أن وظيفة الرواية الأوروبية هي تفكيك العالم القديم لأجل إعادة صناعة عالم جديد. انطلاقاً من مراعاة الرؤية الامبريالية، حيث أن الظلام هو رمز للمكان - إفريقيا- الغارق في الوحشية والتخلف، ما يستلزم أن الحضور الأوروبي هو ذلك النور الساطع الذي اخترق غابات القارة، بما أن مهمة الأوروبي هي أن ينقل نور الحضارة.²¹

كما تكلم إدوارد سعيد عن روايات ألبير كامو، حيث ارجع ظاهرة فقدان العربي لاسمه في روايات كامو إلى تلك النزعة الاستعمارية، وهو الذي صرح في الأخير إلى أنه يختار أمه (الفعالية التي تحيل بالضرورة إلى فرنسا) عوض القضايا العادلة التي يقصد بها الثورة الجزائرية. كما استحدث إدوارد سعيد مفهوم القراءة الطباقية التي تحاول أن تحلل الرواية الأوروبية والرواية المصادرة لها بطريقة مقارنة. لكشف منطق فرض السيطرة ومنطق المقاومة والمجاهة لها بين الرواية الامبريالية والرواية المضادة لها وهي الرواية ما بعد الكولونيالية.²²

خاتمة:

هكذا نصل إلى ختام هذا العرض الذي سلطنا من خلاله الضوء على استراتيجيات القراءة الثقافية ومنطق اشتغالها ومركزاتها التي تقوم على تشخيص وفضح مختلف التناقضات التي تركزها الخطابات في مسرح الثقافة العالمية، وكذا الإشارة إلى الآليات التي ينتهجها الدارس الأكاديمي باتخاذها للاستراتيجيات النقد الثقافية كآلية تحليلية تتوافق مع

خطاب الثقافة عوض خطاب الجماليات المحضة، في حركة تصحيحية تربط المضمير في النصوص الأدبية السردية بسياقها الخارجي الثقافي.

المراجع:

- ¹ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 1985، ص 57.
- ² - سمير سعيد، مشكلات الحداثة في النقد العربي، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2001، ص 245.
- ³ - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 58.
- ⁴ - الأدب موضوعاً للدراسات الثقافية، إدريس الخضراوي، جذور للنشر، الرباط 2007، ص 36-38.
- ⁵ - محمد بوعزة، السرديات الثقافية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014م، ص 25.
- ⁶ - سليمة مسعودي، الكولونيالية الجديدة وهولوكوست الهوية العربية، ضمن: العين الثالثة، ص 67.
- ⁷ - ينظر: طارق بوحالة، الرواية الجزائرية والنقد الثقافي، اليوم الدراسي الوطني الثالث حول "فلسفة السرد" الذي نظّمه قسم اللغة والأدب العربي بالتنسيق مع الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية - فرع ولاية برج بوعرييج يوم: 10/04/2016م، ص 4.
- ⁸ - محمد بوعزة، سرديات ثقافية، ص 35.
- ⁹ - المرجع نفسه، ص 35.
- ¹⁰ - ينظر: سليمة مسعودي، الكولونيالية الجديدة وهولوكوست الهوية العربية، ص 69.
- ¹¹ - محمد بوعزة، سرديات ثقافية، ص 33-34.
- ¹² - المرجع نفسه، ص 37.
- ¹³ - المرجع نفسه، ص 38.
- ¹⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 39.
- ¹⁵ - محمد برادة، سلطة الرواية والتخييل في الثقافة العربية، مجلة الثقافة، العدد 9، يناير، 2007، ص 70.
- ¹⁶ - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بغداد، 2014م، ص 267.
- ¹⁷ - نهال محمد النجار، المقاومة الثقافية والسلطة: سعيد وباختين، ألف: مجلة البلاغة المقارنة، ص 140-139.
- ¹⁸ - المرجع نفسه، ص 145.
- ¹⁹ - عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص 348.

²⁰- لونيس بن علي، إدوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية، ميم للنشر،

الجزائر، ط1، 2018م، ص 279.

²¹- المرجع نفسه، ص 280.

²²- ينظر: المرجع نفسه، ص 330.